تجربتي الشعرية في المهجر

سالم زين باحميد

إصدار: شعبة سيئون لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين
فرع محافظة حضرموت

تصدير

أطل علينا شهر أكتوبر شهر البطولات والأمجاد في اليمن حاملاً لنا ذكرياته الخالدة ومناسباته العظيمة هذه التي تناشد وتحث كل المبدعين في بلادنا بمواصلة العمل والعطاء للإسهام في بناء الغد الزاهر.
والأديب والمثقف في طليعة المطالبين بإبداع الجديد الذي يثري حياتنا الروحية والعادية ولهذا تتجه الأنظار إلى اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين والذي تمثله مراكزه وشُعبه المختلفة المتواجدة في شمال اليمن وجنوبه.
ونحن في شعبة سيئون وكجزء من هذا الإطار الإبداعي الكبير نشعر بجسامة مهمتنا ونحس بخصوصية مديرية سيئون كجزء من يمننا له دوره الأدبي الواضح ولكي نحافظ على هذا الدور ونعززه انطلقنا معتمدين على الآتي:
أولاً: اعتمدنا على أعضاء الشعبة في تنفيذ كافة المهام والفعاليات الأدبية فكان دورهم بارزاً ومشاركتهم سبباً أساسيا في نجاحنا، وعززه دعم منظمة الحزب بالمديرية وكذا إدارة الثقافة وأطرنا العليا في الفرع والمركز والأمانة العامة لاتحادنا.
ثانياً: اعتمدنا على تخطيط أعمالنا ووضع البرامج لتنفيذها ومتابعة هذا التنفيذ، ولهذا نقول بثقة اننا نجحنا في تنفيذ كافة الخطط التي وضعت ونفذت جميع البرامج (فمنتدى الأربعاء الأدبي الأسبوعي) مستمراً دون انقطاع، وشُعبتنا لها وجوداً واضحاً في كل المناسبات الوطنية والإجتماعية، وأصبح موقع الشعبة موقعاً يشع منه عطاءاً أدبيا وثقافياً.
حالنا هذا يمكنا من تنفيذ مهمة أخرى من مهامنا ولهذا تتجه شُعبتنا حالياً إلى الإصدارات التي نود لها ان تكون سلسلة ننتظم في إصدارها

بشكل دوري، وهكذا خططنا لنشر عدد من المواضيع المختارة والتي قدمت في (منتدانا الأدبي) ونبدأ باكورة إصدارتنا هذه بنشر موضوع الأستاذ سالم زين باحميد رئيس الشُعبة الذي قدمه (مساء الأربعاء ١/يونيو/١٩٨٨م) بعنوان (تجربتي الشعرية في المهجر).
نقدم هذا الإصدار هدية متواضعة من شُعبتنا لحزبنا وجماهير شعبنا اليمني العظيم ومساهمة منا في فعاليات الإحتفاء بـ (الذكرى الفضية للثورة واليوبيلية لقيام الحزب).
إننا لعلى ثقة تامة من أن العزيمة الصادقة والإلتفاف الرائع للأعضاء والمهتمين بشؤون الأدب والثقافة كفيلة بتذليل كل الصعاب.

لجنة الشُعبة

في الذكرى الفضية لثورة ١٤ أكتوبر المجيدة
واليوبيل الأول
لتأسيس الحزب الاشتراكي اليمني
نقدم هذا الإصدار

مدخل و تقديم

لأنني قضيت قرابة الثلاثين عاماً في محراب الشعر ورحابه ، ولكون هوس الشعر وهاجسه لم يفارقني ولأن أصدقائي وإخواني سلمهم الله أبو إلا ان يُعدوني واحداً من الشعراء ويطلقون على ما أكتب شعراً، فقد زينت لي نفسي عندما طُلب مني إدراج أسمي في برنامج شعبة سيئون لإتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين للفصل الثاني - إبريل / يونيو من عام ١٩٨٨م - أن أشارك تحت هذا العنوان (تجربتي الشعرية في المهجر).
آه عفواً ومعذرة فقد أكون متسوراً على هذا التعبير ومتطفلاً عليه، فإنني ورغم محاولاتي العديدة وحصيلتي حتى الآن سبعة دواوين شعر أعتبر نفسي لا زلت في أول الطريق وما أطول دروب الشعر وأبعدها.
غير انني أقدمت وجئتكم بجانب من تجربتي عل فيكم من يجد فيها شيئاً ولتتعرفوا على تجربة فتى عانى وأحس وكتب قد لا أرض اليوم عما كتبته منذ سنوات وقد أرى ان تعبيراً ما ينبغي أن يُبدل بغيره ولكني آثرت ان أبقي ما كتبت كما هو حتى تتعرفوا على مدى التطور والتغيّر، وقديما قال العماد الأصفهاني (إني رأيت أنه لا يكتب انسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر).
لقد كتبت شعري بلغة الحياة اليومية بلغة الجماهير أنني أحب تعابير الحياة اليومية وأعتز بها ولا آنف منها. إنني حاولت ان أنقل واقعي كما هو بكل كآبته وآلامه وحزنه وفرحه وسؤه، أما هل وُفقت في ذلك أم قصرت فالجواب عندكم.

إننا بكتابة الشعر بهذه اللغة نسهل في جعل الشعر للجماهير للذين لا يستطيعون احتمال الرحلة خلال سطور المعاجم واللهاث خلف العَصيِّ والغامض من الكلمات نجعله لمستمعين أكثر، للبسطاء المحرومين حتى من الترف في الكلام، إن الشعر لم يُعد للخاصة، ولم يعد في الدائرة الضيقة يعيش، إنه للجماهير الكادحة يصور آمالها ويشدو لها على الدرب.

قد يُغضب هذا الشعر بعضاً، وقد يُثير حفيظة البعض الآخر، وقد يرضى عنه آخرون، وأقول لهم جميعاً إنني قلت ما أحسست وكتبت ما عانيت ويكفي أنني فعلت. وما قيمة الأديب شاعراً أو كاتباً إذا لم يكتب ما يحسه هو وما يعانيه ويعيشه وعلى الشاعر ان يرضي نفسه فالفن لا يعرف المقاييس. أما أنا فكما أسلفت لا أقول إنني أرضيتُ نفسي بما قلت كلا فإن الدرب ما زال طويل وما هي الا محاولات وقد تكون بعض خطوات عليه.

عرفنا وعانينا الكثير في البحث عن معالم المراحل الأولى لبعض أدبائنا الذين رحلوا ولم يكتبوا عن أنفسهم ولم يعنَ أحد بتاريخهم ولا زلنا نعاني، وأذكر أن أحدكم ـ في لقائي الأول بكم في العام الماضي ـ طرح مثل هذا السؤال لهذا فإنني أتحدث قليلاً عن مراحل حياتي الأولى.

تجربتي الشعرية في المهجر ١

كانت نشأتي عادية و بسيطة كنشأة العديد من بسطاء بلادي، ولدت بمدودة كما تعلمون عام ١٣٥٤هـ /١٩٣٦م وللصدفة العجيبة و الغريبة فقد كان هذا العام ١٩٣٦م هو عام الثورة الفلسطينية الأولى ضد الانتداب البريطاني .. ثورة عز الدين القسام فكأن قدري وقدر فلسطين متلازمين، وكان لفلسطين مذاقاً خاصاً في شعري، ففي معظم قصائدي الوطنية أجدني أُعرّج على فلسطين وفي لهفة وصدق، وآخر قصائدي هي (الحجارة والبطش الصهيوني) التي سمعتموها في احدى أمسيات هذا الدار وتم نشرها على صفحات صحيفة الشرارة.

في ١٣٦١هـ و أنا أخطو في عامي السابع أصيبت قريتي ـ مدودة ـ بنكبة مدمرة إذ نشب فيها قتال في شهر شوال ١٣٦١هـ بين قبائل آل كثير قتل فيها خمسة أشخاص في قتال شرس استمر ما بعد العصر الى ما قبل المغرب، تصوروا فقد تركت هذه الحادثة أعمق الأثر في نفسي، و في صباح اليوم الثاني للمعركة تسلل بنا أبي إلى مدينة سيئون هذه المدينة التي أكن لها حباً عظيماً وقد غنيت لها كثيراً في شعري، ففيها تعلمت أول حرف أذكره، ففي مدرسة النهضة كان لي شرف الانتساب والانخراط بين تلاميذها، فقد أدخلني أبي المدرسة فوراً، ومن الأساتذة الذين أذكرهم الأستاذة الأجلاء عيدروس بن سالم السوم السقاف، وشيخ بن محمد السقاف، وعبدالرحمن بن عمر بن حامد، اما الذي قام بتدريس الصف الذي كنت فيه فهو الشيخ الفاضل احمد بن عمر باحميد على ما أذكر، أمد الله في عمره. ظللنا بسيئون قرابة السنوات الأربع حيث عدنا إلى مدودة في أواخر عام ١٣٦٥هـ.

و في هذه الفترة ارتسمت في ذهني الصغير صوراً لبعض شخصيات سيئون التي تأتي الى بيت أبي ومنهم العلامة علوي بن عبدالله السقاف

والعلامة عبدالله بن صالح بن هاشم الحبشي وكان يومها بسيئون والعلامة محمد احمد الصبان والأدباء طه بانقيل وعبدالرحمن بن احمد باكثير وشيخ مساوى واخيه احمد وغيرهم كثير لا أذكرهم، شخصيات عرفتها وسمعت حديثها وظل لها طابعاً فريداً في نفسي، شخصيات لم أعرف ابعادها الاجتماعية الا بعد ذلك بسنوات، إن هذه الرحلة جعلتني أشعر بالغربة والتشرد مبكراً، لقد طبعت حياتي بطابع جديد خاص ومتميز، عدت الى مدوده وشعوري يختلف عن الأول، عدت وفي القلب حزن وألم فقد أودعنا بعض الأحبة مقابر سيئون، إنها ذكريات لا يزال لها صدى بأعماقي.

سافر أبي إلى أثيوبيا والتحقت بمدارس أهلية بمدودة وقد كان لأستاذنا المربي الكبير احمد عبدالله باسلامه خريج مدرسة الإرشاد بسورابايا بإندونيسيا الفضل في دفعنا الى دنيا الأدب وعالمه، فقد كان رائدنا بحق، وظل ينظر الينا رفاقي و أنا ونحن نحاول الوقوف على أعتاب عالم الأدب قبل ان نتطلع الى السير فيه، كان يدلنا على الطريق وينير لنا الدرب ويفتح لنا عوالم الأدب المسحورة، ويمضي بنا في آفاق العربية شعراً ونثراً نحواً ولغة، لقد جاب بنا هذا الأستاذ القدير عوالم المتنبي وأبي تمام والبحتري وشعراء المعلقات، كما عرّج بنا على خطباء العربية وبلغائها، وعلى الأدباء والمفكرين قديماً وحديثاً لقد وضع أيدينا على مفتاح الأدب العربي وأضاء لنا الطريق ورفع لنا المشعل فمضينا بخطى ثابتة مستمرة، نمّا فينا هذا الأستاذ الذوق الأدبي وصقل المواهب الكامنة في نفوسنا. اقرأ عليكم قصيدة كتبتها عام ١٩٦٣م عندما كنت بمدوده وكان الأستاذ باسلامه قد عاد من أداء فريض الحج وأقيم له حفل تكريم بها:

أترانا نطيق ايفاء حق لمرب النفوس زين المشيب

كل قلب زرعت فيه بذوراً كيف ننساك ياحبيب القلوب

وفي هذه الفترة صحبت في مكتبة أبي ، الحريري في المقامات وشرح المقامات لأبي العباس الشريشي وغيرها من كتب الأدب العربي ودواوين الشعر العربي، وفيها و قعت يدي على أعداد السنة الأولى من صحيفة ـ النهضة ـ التي تصدر بمدينة سيئون في عام ١٣٦١هـ ورئيس تحريرها الأستاذ عبدالرحمن أحمد باكثير ومدير التحرير عوض محمد باجبير وكان أبي من كُتابها، ومن خلال أعدادها تعرفت على أدباء سيئون ومفكريها وتَركت أثراً في نفسي بأسلوبها الممتع المتميز، كما قرأت فيها كتاباً صدر عن ـ مخيم أبي الطيب ـ بعدن على ما أذكر وفيها ذكر الشاعر الكبير علي أحمد باكثير رحلته إلى اديس أبابا بأثيوبيا ورائعته المشهورة التي قالها في أديس أبابا:

على إخواننا المتديرينا اديس أبابا سلام المخلصينا

وقد أعجبتني القصيدة وكنت أحفظ أكثر أبياتها خاصة التي يقارن فيها بين واقع العرب اليمنيين بأثيوبيا واندونيسيا مما جعلني أحن الى رؤية اديس أبابا وأتطلع إلى السفر إليها ولم أدر أن القدر كان يخبئ ذلك لي.

وتابعت القراءة على عدد من الأساتذة بمدوده في علوم النحو والتجويد والفقه والتاريخ وغيرها من العلوم العربية ومن أساتذتها عبد القادر بن احمد باحميد ومحمد بن عبدالله باحميد وهما من خريجي رباط تريم في عهد العلامة عبدالله بن عمر الشاطري وغيرهما من الأساتذة والمربين، وكانت فترة تحصيل مكثفة لا نخرج من حلقة أستاذ إلا ودخلنا حلقة أخرى وهكذا طيلة الأيام.

كما تعرفت في هذه الفترة من خلال أوراق لجدي سالم بن عمر باحميد المتوفى عام ١٣٤٢هـ على أخبار وحروب الدولة العلية مع الدول

الأوربية إيطاليا واليونان، وحروب طرابلس وبرقه، وكان جدي يكتب كل هذا بأسلوب سلس وأخاذ في رسائله لأصدقائه في حضرموت عندما يكون هو بإندونيسيا وكان لحسن الحظ يحتفظ بصورة من كل رسائله، وعرفت أخبار حضرموت ورجالاتها كالوزير الخطير ـ حسين بن حامد المحضار وعبدالرحمن بن عبيدللاه وغيرهم من خلال رسائله عندما يكون بحضرموت إلى اندونيسيا، كما وجدت في أوراقه أعداد من صحيفة ـ اللواء ـ المصرية و ـ المؤيد ـ و ـ الجوائب ـ للشدياق وكانت له مكاتبات مع الشيخ علي المؤيد وبعض دور النشر اللبنانية آنذاك، كما كانت له صداقة وطيدة بالعلامة عبدالرحمن بن عبيدالله بن محسن و من خط جدي عرفت اسم بن عبيدالله لأول مرة حيث وجدت قصيدة منقولة بخط جدي من جريدة الإصلاح بسنغافورا عدد ٢٨/٣٢ـ ٢١/رجب/١٣٢٧هـ ـ ٨/أغسطس/١٩٠٩م مطلعها:

أين العزيمة والآمال والهمم * أين الحمية أين المجد والشمم

وفي رسالة بخط العلامة بن عبيدالله لوالدي مؤرخة ٩/شوال ١٣٦٧هـ بمناسبة طبع ـ نهج البرده ـ على نفقة الشيخ ـ عبدالرحمن محمد عمر بازرعه ـ بواسطة أبي وجهها بن عبيدالله هكذا بالحرف: (المكرم المحترم الشيخ زين ابن صديقنا الشيخ سالم بن عمر باحميد) إلى أن قال (وفي الحقيقة أن ما فعلتموه وما فعله الموفق الشيخ عبدالرحمن بازرعه كله خدمة للجناب المحمدي):

لقد قال كعب في النبي قصيدة فقلنا عسى في مدحـه نتبـارك
لئن شملتنا بالجوائـز رحمـة كرحمة كعب فهو كعب مبارك

وهكذا وبعد ربع قرن من وفاة جدي يظل العلامة بن عبيدالله وفياً لصداقته ذاكراً لها.

أما معرفتي الشخصية بمفتي الديار الحضرمية ابن عبيدالله فيرجع إلى عام ١٣٧١هـ حيث عاد أبي من أثيوبيا وذهبت بمعيته لزيارة بن

عبيدالله في بيته وكان لقاء مؤثراً بالنسبة لي وظل عالقاً بخيالي، ولي مع بن عبيدالله طرفة لازالت من أعز الذكريات عندي وهي أنني عند قراءتي لمطولته ـ نهج البرده ـ توقفت عند هذا البيت:

ماذا أقول وروح القدس خادمه كما أتى في قريض الشاعرالحكمي

ولم أعرف من هو الشاعر الحكمي وما هو شعره المشار إليه وظللت زمناً طويلاً أسأل من أتوسم فيه معرفة ذلك، ولم أوفق وبرغم البحث والمتابعة لم أصل الى معرفة ذلك، وفي عام اعتقد أنه ١٣٧٤هـ في ـ مولد عيديد ـ بسيئون وقف بن عبيدالله كعادته يلقي خطاباً سنوياً في هذه المناسبة وإذا به يقول في معرض خطابه ولله در أبي نواس اذ يقول في مدح علي الرضا:

إنني لا أطيق وصف إمام كان جبير خادماً لأبيه

فقفز إلى ذهني فجأة بيت ـ نهج البردة ـ وعرفت أن المعني فيه هو ـ أبو نواس الحسن بن هاني الحكمي ـ وأن الشعر المقصود هو هذا البيت لأبي نواس. فظلت هذه الطرفة من أعذب ما أحمل عن بن عبيدالله من ذكريات.

وفي أواخر ١٩٥٥م التحقت بأبي إلى أثيوبيا للعمل هناك، وفي عدن وفي بيت ـ صالح عبدالله الجرو ـ تحصلت على نسخة من ديوان الشاعر الحضرمي الكبير صالح بن علي الحامد ـ ليالي المصيف ـ وكان في طبعة أنيقة و إخراج ممتاز ومن شغفي بالديوان ومقدمته الرائعة قمت بنقل مقدمة الديوان وبعض قصائده، ولسوء الحظ فقد ضاع الديوان مني وظلت المقدمة بين أوراقي.

وفي أثيوبيا كانت إقامتي ومقر عملي بأديس ابابا الزهرة الجديدة تلك المدينة التي سبقني شوقي إليها كما أسلفت وأصبحت واحة خضراء

أستظل بها من هجير الحياة، ومن الصدف الغريبة مرة أخرى أن نكون ـ علي أحمد باكثير وأديس ابابا وأنا ـ وكأننا على موعد.
وفي أديس أبابا وجدت نفسي بين مجموعة من هواة الأدب وعشاقه، ومن حسن الطالع أن كان زميلي في العمل رجل طيب كريم هو الشيخ ـ محمد أحمد بن سلم ـ صاحب مكتبة عربية عامرة بأديس ابابا لا تزال إلى اليوم كما أخبرني بعض القادمين من أديس ابابا، وكنت في ليالي أديس ابابا أكتب في أوقات الفراغ ما يحضرني من الأدب و شؤون بحضرموت بل في سيئون على وجه التحديد و أقرأه عليهم في أيام الآحاد ـ العطلة الأسبوعية ـ ويكتب بعضهم مواضيع كذلك و أذكر أنني كتبت في تلك الفترة ١٩٥٥/١٩٥٦م مقالاً بعنوان ـ حضرموت ـ كتبت فيه عن حضرموت والطبيعة فيها ثم الأدب بحضرموت منذ امرؤ القيس حتى العصر الحاضر، وكان لهذا المقال حضور يومئذ وقد افادتني مقدمة ديوان ـ ليالي المصيف ـ في هذا الموضوع ومن خلالها تعرف على شخصية الحامد وأسلوبه. وعندما كنت بحضرموت في عام ١٩٦٦م جمعني الصدفة في ـ مكتبة الحياة ـ يومها بالشاعر الكبير صالح بن علي الحامد وقام الأخ أحمد الحبشي مسؤول المكتبة بتقديمي للشاعر الكبير وما أن عرفني حتى قال لي وابتسامة عريضة على وجهه لا تزال في عيني وعينه تلمعان من وراء زجاجة نظارته: (قرأت شعرك في ـ الطليعة ـ وأعجبني) فكأن لهذه الكلمة وقع في نفسي واعتبرتها شهادة من هذا الأديب البارز لشعري.
ومما كتبت في اثيوبيا مقالاً عن الوطنية في شعر بن عبيدالله قدمته لأستاذنا حسن عبدالرحمن بن عبيدالله عام ١٩٦٧م عندما عدت إلى حضرموت وقد سر به ولاتزال رسالته الممتعة في هذا الموضوع بين أوراقي.
وفي اثيوبيا ومن مكتبة بن سلم المتجددة بالكتب والصحف والمجلات رحلت في دنيا الأدب والفكر وعرفت عوالماً كنت أجهلها وقرأت

شخصيات كنت اتشوق إلى قراءتها فقرأت لعمالقة الفكر العربي ورواده العقاد وطه حسين وسلامه موسى ونعيمة وجبران ومارون عبود والأخطل الصغير وأبو ريشه والياس أبو شبكه والشابي كما وجدت عدداً من مسرحيات الأديب اليمني الكبير علي أحمد باكثير بعد أن عرفت بحضرموت رواية ـ همام أو في عاصمة الأحقاف ـ في طبعتها الأولى وكنت معجباً بها.

ثم قرأت ـ لنزار قباني ـ ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي والسياب وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وأدونيس وانسي الحاج وغيرهم كثير. وكنت في تلك الفترة لا أجد راحة في أوقات فراغي إلا في القراءة والمطالعة.

وفي عام ١٩٥٨م كانت كتابة أول قصيدة رأيت أنها تستحق القراءة أمام مجموعتي الصغيرة وفعلاً في جلسة من أماسي الأحد في أديس ابابا قرأتها وهي بعنوان ـ حضرموت ـ تحمس لها الحاضرون وابدوا إعجاباً بها و أخذ البعض يقرأها بصوته وهكذا دخلت محراب الشعر و ظللت فيه قرابة الثلاثين عاماً واخذتني شياطين الشعر كما يقال في أوديته وشعابه وها أنا أعيش هذا الهوس الشعري ولا أدري إلى أين ينتهي بي.

بلدي لا أنساك ما دمت حيا ولو أن الزمان جار عليا
وعليها من الجمال رداء وضع الحسن فوقها إكليلا

و تسلل ما أكتبه خارج المجموعة وإذا بجمهوري الصغير يأخذ في الإتساع وإذا بالعربي الكبير السيد الأديب الذواقة الناقد مدير مدرسة الجالية العربية بأديس ابابا الأستاذ عبدالله بن علي يكون على رأس من يقرأ شعري وقد منحني الكثير من وقته ولا أزال احتفظ برسائله وملاحظاته على شعري بين أوراقي و إني لفخور بها على بعد السنين وتقادم العهد وفي الصحيفة الوحيدة التي تصدر بالعربية في أديس ابابا وهي صحيفة ـ العلم ـ تصدرها وزارة الإستعلامات ورئيس تحريرها

الدكتور نمر تشمر لبناني مسيحي، كنت أنشر قصائدي و منها قصيدتي (اشراق في العام الأمهري الجديد١٩٥٥م) نشرت في العدد ١٩/٢٣ - سبتمبر -١٩٦٢م:

عام أطل بكل الحب مبتسما مبشراً بسلام في لياليه
أرى الطبيعة قد ألقت محاسنها فيه ترى الورد قد وشّى ضواحيه

وكتبت شعراً كثيراً في أثيوبيا ولم أكن بمعزل عن أحداث أمتي العربية وقد كتبت لها الكثير ولا شك أن بعضكم تابع ذلك في صحيفة - الطليعة - الحضرمية وغيرها من الصحف المحلية في مطلع الستينات، وقد جمعت هذه القصائد في ديواني - عودة نيسان - وقد غنيت فيها لثورات البلاد العربية في المشرق والمغرب، وكتبت شعراً عاطفياً واجتماعياً كثيراً وذلك من واقع أديس ابابا وحياتي فيها وضم الكثير منه ديواني - مرفأ السنين - اليكم هذه القصيدة

(فتاة المعبد)

في خشوع رأيتها تدخل المعبد في ثوبها الأنيق الجميل
خفها الطيب اللطيف يناغي الأرض في رقة بلحن ذهول
نظرة بعدها أحادل فؤادي لعذاب ولوعة وعويل
كان في قلبي الصغير هدوء ها هو الآن مؤذن برحيل
في حفاياه أشرقت ذكريات ذكريات الصبا وقت الأصيل
أي شيء أعاد فيه جروحاً نضبت من زمان غير قليل
وثياب حمراء يا لفؤادي فوق ثلج من الجمال النبيل
وصليب ما بين نهدين يختال زهواً وماله من سبيل
طَرقَتْ باب معبد بخشوع لتزين الصلاة بالترتيل
يا لثغر فيه ترد حروفاً طيب ما ترددي وتقولي
همسات تنساب في الهيكل الساحر تغري بأنفس وعقول

إن هذا دين السماح فتأتي به أوصى الإله في الإنجيل
اشفقي بالقلوب يا أيها الحسناه يا منبع الجمال الأصيل
خطوات على أديم فؤادي تركت فيه موضعاً للنزول
نزل الحب في فؤادي فأضحى مهد حب ولم يعد بالملول
همت في زورق من الحب والأحلام في بحر كوثر سلسبيل
إنه الحب يعل المرء حساساً طروباً لصادح لهديل
لا ترى عبقي من غير حسناء له جدّ في سبيل الوصول
هي الهامة وكل أمانيه ودنياه في جميع الفصول
أنت فوق الخيال أنت فتاتي أنت فوق الحدود والمستحيل

وهذه قصيدة بعنوان

(غريب)

سئمت من الوظيفة ويح نفسي لقد نهكت قواي وما صحوت
مضت سنوات من عمري وفيها وما ذقت السعادة أو نعُمت
هي التثبيط للهمم العوالي وقيد في الحياة به غللت
وقبر للمواهب ليس فيه من الآمال إلا ما عرفت
فكم قد ضاع فيها من نبوغ تلاشى في الظلام كما رأيت
محددة المعالم لست حراً أناجي النجم فيها إن شدوت
أنا كالطير ليس له جناح فأنى ل ي أحلق؟ لا سموت
لقد أضحت حياتي ملك غيري وقولي ملك غيري إن نطقت
يقال أحمق ان ندّ عني رحيق الشعر أو فكر أتيت
غريب بين أصحابي لأني غريب الفكر فيهم إن كتبت
أرى حولي وجوهاً ليس تبغي سوى مال بما تبغي سخرت
تصورني بلا وعي كأني بلا هدف على الدنيا مشيت
وبين مكاتب قد ضاع حلمي تحطم ما أقمت وما بنيت

ولكني سأعمد في إباء وأمضي هازئاً مما لقيت
أتوق إلى التحرر من قيودي لقد طال العذاب وما ارعويت
تداعب رأسي الآمال حينا معطرة بالحواشي فابتسمت
أرى الدنيا إبتساماً رغم بؤسي أنار الفن روحي فانتشيت
أرى في بسمة جواً ضحوكاً ودنيا الحب فيها قد سبحت
لقد حل الجمال بكل قلبي فها أنا في رحاب الفن همت
شعوري مرهف في كل شيء أرى الإحساس أثمن ما ملكت
ونفسي لا تطاوعني لصمت وأشعر بالسعادة إن صدحت
سأشدو دائماً برقيق لحني وأبسم في حياتي ما بقيت

و في الإجازات خاصة الأسبوعية وهي ـ يوم الأحد ـ كنا نخرج الى ضواحي أديس ابابا لقضاء يوم أو يومين بين أحضان الطبيعة الخلابة وروابي اثيوبيا الخضراء وكانت جلسات ممتعة تتخلى الروح فيها عن متاعب العمل ورتابة الحياه و تمرح الروح حرة طليقة، وفي هذه الأجواء أبة ربة الشعر إلا أن تكون معنا، ومن وحي واحدة من تلك الرحلات كتبت قصيدة (باقطيان.. وفاتنة الرحلة) مداعباً بها واحداً من مجموعتي الصغيرة ـ أحمد باقطيان ـ من دوعن يهوى الأدب والشعر:

(باقطيان.. وفاتنة الرحلة)

وفي ـ رائدة ـ الركب مشينا مشي مختال
نهبنا الأرض في فرح به ـ مركبنا ـ الآلي
لهونا في ـ مكينتنا بادبار.. وإقبال
بهذا المنظر الخلا ب بالماء .. بأطلال
وجاءت في سذاجتها بوجه مشرق خالي
أتت كالحلم الباسم كالنور .. كآمالي

أتت نشوى وشاحبة جمال بين أسمال
أتت فالشعر الأسود يلذعه.. بأشعال
أفاق القلب في لهف وعاد الشوق للبال
رنا للصدر في شبق رنا للثغر .. للتالي
رأى في عينها الدنيا رأى عطراً كشلال
وحدق نحوها زمناً وحسن النبض في الحال
تنقل في حدائقها بكف ـ فيه ـ جوال
وألقى في مجاهلها بلحظ جد قتال
وقاللها فدا روحي لهذا الحسن بل مالي
فيا .. يا فرحة الصائم أول يوم شوال
وقال لها بإخلاص لعبتي بي بأمثالي
فهذا القلب خفاق ويغزو الحب أشكال
فنحن الحسن يغرينا ولو في طلل بالي
لها الرحمن .. بائسة رمته بين ادخال
فتاه بفكره عنا غدا يهذي بأقوال
سرى التيار في جسمي وهز الوجد أوصالي
فيا سمراء .. يا حبي و يا درة أعمالي
أنا أهواك يا سمراء يا سمراء .. أنت لي
ولن أنساك يا سمراء في حل .. وترحال
تأرجح بعدها السكا ن ـ في يده بإهمال
و عاد .. باقطيان بخصب بعد امحال
وعاد بنفسه نشوى وقد عاد بأثقال
لقد نفحته ـ فينوس بحب ممتع .. غالي

في عام ١٩٥٩م عدت بمعية أبي إلى حضرموت للمرة الأولى وكتبت شعراً كثيراً ثم عدت إلى أديس ابابا ومضيت في دنيا الشعر وعوالمه،

وقد تركت عودتي الأولى على بلادي حضرموت أثراً عميقاً في نفسي وألهبت احساسي ووجداني وأدركت مدى ما يعانيه الشعب ويكابده، وعدت إلى أديس ابابا وصورة بلادي لا تفارقني وكتبت عدداً من القصائد وقد ضم القسم الأول من ديواني (وجه الغفاري) بعضاً منها.
ومن وحي عودتي الثانية إلى حضرموت في زيارة قصيرة عام ١٩٦٣م كتبت قصائد كذلك ومنها قصيدتي (المكلا وعودة شاعر) ومنها يدرك شباب اليوم ما كنا نعيشه ونعانيه في تلك الفترة:

وعشت بعث أفريقيا وزحفها الشهير
والكل فيها أخوة منشرحي الصدور

ثم تأتي مرحلة إقامتي بعدن للفترة من ١٩٦٤م ـ ١٩٦٦م وكانت من أخصب سنوات عمري اذ كنتُ في قلب الأحداث بعدن، وكتبت شعراً ضم ديواني (وجه الغفاري) بعضاً منها، وقد أفرزت تلك الفترة شعراً جديداً ذا مضامين جديدة أوحتها المرحلة والواقع وآمل ان أجد من الوقت ما يمكنني مستقبلاً من الكتابة عنها فإنها بالنسبة لي غنية بالمعاناة والتجربة وفيها كتبت معظم قصائد ديواني (لملمة الحروف) وهو شعر عاطفي.
وفي أواخر عام ١٩٦٦م ألقيت عصا التسيار بمدودة وكتبت شعراً وقد ضم ديواني (طلع النهار) عدداً من قصائد هذه الفترة وأحسب انكم تعرفون الكثير منه وقد شاركت في معظم المهرجانات والأمسيات الشعرية التي أقيمت بمدينة سيئون طوال العشرين عاماً الأخيرة.
إن الشعر معاناة ومعايشة ومن العسير العسير أن تكتب قصيدة لم تعانيها وتعيش دقائقها وثوانيها، من الصعب كتابة شعر لم يهز كيانك ويحدث بداخلك زلزالاً من الإحساس والعنفوان المتدفق.
قد يمضي وقت طويل وأنا أحاول كتابة قصيدة ولكن بدون جدوى، وقد تهبط لحظة شعرية فجأة وبدون سابق إنذار فإذا بالقصيدة على الورق.

صدق التأثر وعمق الإنفعال بحديث أو خبر أو منظر أو حادثة هو الذي يسرِّع بميلاد قصيدة مثل قصائدي في بعض الشخصيات العربية واليمنية لم تأت من فراغ وإنما من تأثر عميق أو ذكرى كانت هاجعة في الأعماق هبت فجأة على وجه من الوجوه.

قصيدتي باعث الذكريات ـ مثلاً ـ كتبتها في أوائل الستينات بأديس ابابا بمناسبة قدوم الأستاذ المربي جعفر بن علوي بن محمد المحضار من القويره/ دوعن، فأن قدومه إلى أديس بابا في مارس ١٩٦٣م أعادني الى بلادي إلى حضرموت إلى سيؤن إلى عام ١٩٦٨هـ عندما كان بصحبة العلامة الجليل مصطفى بن أحمد المحضار في آخر زيارة له إلى حضرموت على ما أظن، ويومها عرفت عن الأستاذ جعفر أنه مدرساً بدوعن ولفت نظري حينئذ صوته الجهوري وتعليقاته الساخرة، وجلوسي على مقربة منه في بيت العلامة حسين بن عبدالله عيديد بسيؤن وطرحه بعض الأسئلة النحوية علينا باعتبارنا طلبة، وكنت في الرابعة عشرة من عمري، وكنت من بين الذين أجابوا أجابة صحيحة، وسمعت منه تعليقاً ظل مهمازاً لي طوال هذه السنوات حتى جاء أديس ابابا عام ١٩٦٣م وإذا بهذه الواقعة تعود كذكرى عزيزة تطل في صورة قصيدة كان لها حضوراً ممتازاً يومها ولا زالت رسالة الأستاذ جعفر بن علوي المتضمنة أعجابه وامتداحه للقصيدة بين أوراقي.

قصيدتي (عملاق الأدب العربي) هي إعجابي الشديد بالعقاد العظيم، ومتابعتي لمجريات ندوته الأسبوعية في القاهرة عندما كنت بأديس ابابا دفعني إلى كتابة قصيدتي وقد بعثتها اليه ورد عليَّ بخط يده برسالة اعتبرها من أعظم الشهادات التي أعتز بها كيف لا وهي من عملاق الأدب العربي ـ عباس محمود العقاد ـ وهي بتاريخ ٦/ديسمبر/١٩٦٢م وعندما توفي العقاد كتبت قصيدتي (موت عبقري) نشرت في ـ الطليعة الحضرمية ـ العدد ٢٤٥ـ ٩/إبريل/١٩٦٤م، أقرأ عليكم قصيدتي ـ عملاق الأدب العربي ـ:

عقاد رمز ثقافات وفلسفة نبع من العلم نأتيه فيروينا
عقاد هاك تحياتي وتهنئتي لازلت.. لازلت نوراً في ذرارينا

وكتبت قصائد لشاعر العربية الأكبر ـ محمد مهدي الجواهري ـ نشرت في ـ القبس ـ الكويتية. وقصائد للشاعر ـ نزار قباني ـ نشرت في ـ القبس ـ و ـ الوطن ـ الكويتيتين.
وفي ديواني (وجه الغفارى) وقصائدي للبياتي ولطفي أمان ومحمد علي لقمان ومحمد سعيد جراده والبردوني والمقالح والحضراني و علي عبدالعزيز نصر و أدونيس. وكذا المراثي التي كتبتها في الزبيري وحسين محمد البار ولطفي أمان وعلي أحمد باكثير وعبدالرحمن أحمد باكثير والمساوى وحسن عبدالرحمن بن عبيدالله ومحمد بن علي بن شهاب وميخائيل نعيمة وغيرهم، وكلها قصائد كان لها باعثاً ودافعاً وذكريات في الأعماق، أقرأ عليكم المرثية في ـ الشاعر عبدالرحمن أحمد باكثير ـ التي كتبتها في أغسطس ١٩٧٥م:

ابت في ـ آب ـ فالفؤاد جريح لفراق يا للفراق المرير
شاعري لا أطيل فالقول كثر والحكايا كثيرة في الصدور

إن كل القصائد الوطنية والقومية والاجتماعية والعاطفة لا تأتي صادقة بدون معاناة ومعايشة.

******

تجربتي الشعرية في المهجر ٢

في مساء الأربعاء الأول من يونيو ١٩٨٨م قدمتُ في هذا المنتدى الأدبي: تجربتي الشعرية في المهجر. ولم أتوقع لما كتبتُ أن يلقى مالقيه من الاستحسان والترحاب.
حقيقة بقدر ما أسعدني كل ذلك جعلني أشعر بتحمل المسؤولية التي تقع عليَّ في كتابة ما وعدتُ به، ولم أكن أدرك عندما وعدتُ بالكتابة مدى هذا الوعد، وثقله، ما يزيد عن العام من الزمن قد مر على ذلك المساء من يونيو.
وحياةٌ كثيرة جرت في النهر كما يُقال!
وإذ أنا أعيش هبوطاً مفاجئاً ـ في نظري ـ واذا بهذه الحالة تنقلني إلى مرحلة لم أكن أعرفها من الحياة وإلى تجربة جديدة في التعامل معها.
وإذا أنا وفي مرارةٍ شديدةٍ أشعر بالبعد عن عالمي المسحور عن عالم القراءة والكتابة. غير قادر على الإبحار وراء السطور، والتحليق على الأحرف المجنحة، غير أني ورغم الشعور الذي أحسست به والواقع الذي اعيشه لم تلن لي قناة وظللت كما قلتُ في قصيدة لي كتبتها منذ ما يزيد عن ربع قرن من الزمن ديواني مرفأ السنين:

غير أني لا زلتُ رغم خطوبٍ شامخاً شامخاً برغم الخطوب
باسماً للحياة رغم صعابٍ شادياً في نقاوة العندليب

و إذا بيتُ شعر وردَ في قصيدتي ليالي الحجون كتبتها عام ١٩٨٠م ، ١٤٠٠هـ يتردد على لساني:

وما شاء ربي كائن لا محالة عليه اعتمادي في جميع نوائبي

ديواني ليالي الحجون

وإذا برحمة الله تدركني وأُبلّغُ بأنني واحدٌ من وفد بلادنا لحضور مهرجان المربد الشعري التاسع ببغداد. ولم يدُر بخَلَدِي أن هذا سيكون سبباً في عمليةٍ غير متوقعةٍ لعيني اليمنى أعودُ على إثرها إلى عالمي الأثير عالم القراءة والكتابةً. لا يستطيع من لم يعش هذه التجربة أن يدرك مداها.

لقد أمليتُ ـ وفي الأيام الأولى للعملية في مستشفى العدان المنطقة العاشرة بالكويت حيث أجريت لي العملية من قبل فريق من الأطباء والأخصائيين بقيادة الدكتور العربي المصري الشهير: يحيى حمدان ـ قصيدةً وكانت أول قصيدة أمليتها في حياتي قصيدتي

كويت المجد

يا يحيى أحييتَ بقلبي فرحاً ذوبتَ الأشجان
فأتيتُ يحدوني شوقي أدخلُ مستشفى العدانِ
لم أشعرْ بالغربِ فيه الكل أراهم إخواني
وفريقُ أطباءٍ فذٍ بقيادةِ يحيى حمدانِ
والسعةُ باسمةً تبدو بشيرِ دوماً تلقاني
من طيب العيشِ بعدانِ مرَتْ أيامٌ كثواني
وكويتُ المجدِ تطالعني والحبُ يموتُ بوجداني
فهنا أحبابُ عمروني بالودِ بحبٍ بحنان
في الجهراء عاودني شوقي يا برقاً عبر الأزمان
كاظمةٌ في فخرٍ تزهو لكويتِ المجدِ ، بخلجان
تاريخٌ أشرق في ألقٍ صنعته كرامُ الفرسان
ولغاتٌ تسمعها شتى فيه، الآفُ الألوان
إسمٌ في الأفاق كويتٌ مرفوعٌ بأغر مكان
وكويتَ الحبِ أسرتني وخيالٌ بلادي ناداني
فوداعاً يا بلداً أبقى في نفسي أسمى العرفان
ستظل كويتٌ في قلبي ترنيمةُ حبٍ بلساني
جمعتنا جريرة أمجادٍ في البذلِ في صدقِ تفانِ

واستطعتُ أن أقترب قليلاً من معاناة عباقرتنا العظام بشار والمعري و طه حسين والبر دوني وأدركتُ أبعاد أنَّة شيخ المعره..

أنا رجلٌ مستطيعٌ بغيري .. وأية مرارة يحملها .

صوتُ بشارٍ و هو ينشد:

يا قوم أذنيَ لبعض الحي عاشقةَ والأذنُ تعشقُ قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى هذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب أحيانا

إن هذه التجربة جعلتني عندما أقراء لواحد من هؤلاء العباقرة أجدُ نفسي كأنني أقرأه لأول مرة و أجد في كلماته وكتاباته مالم اكن أجده من قبل، لقد أعطتني في فهم المعاناة بُعداً جديداً، إنها تجربة قصيرة ولكنها غنية بالنسبة لي..

بعد العودة إلى أرض الوطن في مطلع هذا العام ١٩٨٩م وبعد الفترة المحددة طبياً للزوم البيت عدتُ إلى عملي وعدتُ إلى عالمي الأثير عالم القراءة والكتابة.

وعند وضع برنامج أمسيات المنتدى الأول الأسبوعي للفصل الثالث لعام ١٩٨٩م نبهاني الأخَوان عبدالله صالح الكثيري ومحمد علي باحميد إلى وعدي القديم برفق، وبرغبة مني في الوفاء بوعدٍ قطعتُه على نفسي، حرصاً على اللقاء بكم وافقت على إدراج إسمي في آخر البرنامج وها أنا أمامكم هذا المساء محاولاً إكمال ما أسميته تجربتي الشعرية.

لا أدري من أين أبدأ غير أنني كما قلتُ لكم اضعُ امامكم ما قد يجد البعض فيه متعةً أو فائدةً وإذا استطعتُ أن أحرك فيكم العودة إلى أيامكم الخوالي، إذا استطعتُ العودة بكم الى ذكريات وواقف عشتموها، اذا استطعت أن ارك تفكير احدكم بما قلت، أو أرده الى قراءات قديمة له فقد حققتُ بعضَ ما أهدف اليه وليس هذا بالقليل.

أما أنا فقد أتحتم لي بهذا للقاء العودة إلى ذكرياتي الأولى الى أول لقائي بالشعر إلى أيام الصبا و الشباب، الى الزمن الذي يهب فينتشل الإنسانَ من واقع باردٍ وجافٍ ، وسرعان ما ينداح وكأنه فقاعةً صغيرة تتراقص فوق كوبٍ من الشراب يفسح الطريق امام البعث الجديد، بعث الذكريات والزمن المفقود.

ولأن من أهداف التحدث عن الشعر وتجربتي كتابته دعوة القارئ كي يتمعن وينصت ويقف طويلاً في رحاب الشعر سابحاً في أجواءه وآفاقه، وفقد حمل لكم موضوعي هذا المساء عدداً من قصائدي والاستجابة للشعر تكون ذاتية دائماً إذ أنك تحس بميل الى شاعر ما أو بنفور منه مثلما تحس بذلك تجاه غيره من الناس، والذوق الشخصي سيظل دائماً متبايناً بحسب ما لدى الإنسان من إستعداد وميول خاصه، ولا شك أن لدى ثقافتنا و مبلغ وعينا يدفعاننا دائماً إلى إتخاذ بعض المقاييس وطرح البعض الآخر.

من الأهمية البالغة أن يعرف الإنسان نفسه وقديماً قال أبو الطيب :

ومن جهلت نفسُه قدَرَه رأى غيرُه منه ما لا يرى

وليس كل حديث عن الذات يعتبر أنانية، إذا كان الحديث بقصد التعريف والتوضيح بدون شعور بالاستعلاء والفردية وحب التمجيد ليس أنانية، والحديث عن النفس مع معرفته الفضل لذويه ليس أنانية، والحديث عن النفس مع معرفتها وسبر أغوارها، والصدق معها ليس أنانية، إنني أرى أن الحديث عن الذات بصيغة الغائب، والحديث عن الذات بصيغة

الأنا سيان اذا كان الصدق والمكاشفة ونبذ الإستعلاء والمكابرة هو المحور.
عندما أتحدث عن الأنا بصدق أتحدث وأنا أشعر بأنني جزء من كل، و واحد من مجموع، إنني أحس بألآم وأمال الكل وأعاني همومهم، وعندما أعبر عن إحساسي وشعوري فإنني أعبر عن أحساس وشعور الاف البسطاء من اللاهثين في ركب الحياة وأعتبر نفسي واحداً من الحداة في مسيرتنا الصاعدة في دربنا الطويل الطويل.
سيكون حديثي متصل المحاور يفضي بعضها الى بعض ومنها تتكون ركائز ما اسميته بتجربتي الشعرية وأوجهها.
أول ما عرفتُ في عالم الأدب ودنياه أن القراءة والمطالعة من أهم المرتكزات إن لم تكن أهمها.
وعرفتُ أن لا شيء يفسد الأدب كما يفسده التسرع في النشر وحب الظهور، لقد مرت بضع سنوات بين كتابتي ومحاولة نشر ما كتبت.
لقد وقفتُ طويلاً أمام ما ألزم به زهير بن ابي سلمى نفسه مثلاً من أنه يكتب القصيدة ثم يطيل النظر فيها ويصلحها ولا يظهرها للناس إلا بعد أن ينظر فيها حولاً كاملاً ولهذا سميت بحوليات زهير ..
وعرفتُ أن عليك ان تكتب بأسلوبك وطريقتك وأن تحاول الإنعتاق من التقليد والمحاكاه مهما كنت مُجْوِداً في تقليدك ومحاكاتك. إن البحث عن الشخصية مهما كنت ومهما قيل عنها مهمٌ في حياة الأديب، وفيما يكتبُ وينشدُ.
وعرفتُ أنا ما أكتبُ يثير مشاعر وأحاسيس متباينة لدى الآخر، وأن أوطن نفسي على قبول رد العقل مهما كان إيجاباً أو سلباً وقد أدرك ذلك شاعر العربية العظيم أبو الطيب في قوله:

وكم من عاتب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الاذان منه على قدر القرائح والعلوم

ومنذ قرأت كلمة فيلسوف الفريكه أمين الريحاني قل كلمتك وأمشي.. جعلتها شعار فيما أكتبُ محاولاً الإستفادة مما أقرأه و أسمع ومما يوجه اليَّ (وكذا المعرفه الشهيرة للشاعر والناقد الواد حمزه الملك قيل للأدباء)
أيها الأدباء اصدقوا وكفى! أفادتني كثيراً، و أدركتُ أن سرَ عظمة المتنبي وخلوده هو صدقُه في التعبير عن واقعه وعصره.
كُثر هم الأدباء والشعراء الذين يلقون اليك خلاصة تجاربهم في كلمةٍ راقصةٍ، أو بيت شعر تجنح او عبارة آسرة، فما عليكم إلا ان تجوب عوالمهم ببصيرة ثاقبة وقلب حاضر لماح. وهذه من أهم الأدوات التي تفتح لك عوالم الأدباء والشعراء وتجعلك تعيش محلقاً معهم في آفاق رحبه واسعة ومن هنا تدرك أبعاد بيت المتنبي:
أعز مكان في الدنا سرج سابح و خير جليس في الزمان كتاب
وأذكر هنا طرفة حدثت لي : وهي أنني في الستينيات وكنت بعدن أرسل قصائدي إلى واحد من محرري الصفحات الثقافية لبعض الصحف فليم ينشرها او يشير إليها وكنت ارسل قصائد الى صحف أخرى فتجد طريقها الى النشر، وذات يوم كتبتُ قصيدتي هو وكلماتي ونشرتها احدى الصحف.. وإذا بهذا المحرر يردك ما تعني القصيدة وعرف انه هو المعني، واذا به يكتب في صفحته الثقافية بصحيفته إشادةً بشعري وبقصيدي ويعتذر عن تأخير الكتابة:

هو وكلماتي

كلماتي لا بد ستظهر
وبرغم عدائك
لم تقهر
كلماتي أفهم قيمتها
افهمها

افهم حدتها
كلماتي عندك في السله
كمات الآخر
في القمة
ومكاناً في أعلى الصفحة!
شكراً للحافز من عندك
لن ينثني عزمي
ما تفعل
كلماتي عندك ان تهمل
وتمزق كلماتي
وتحرق
إني لن أقلق
لن اقلق
اهملها،
مزقها،
احرقها،
فأنا لن ارهب
بل امضي
واسير بعزم في الدرب
أنا سوف أغني للحب
لك شكراً
شكراً .. من قلبي
ديواني لملمة الحروف

وعرفتُ في مرحلة من المراحل أن من أكبر عوامل التشجيع على الكتابة والمثابرة على جودة الإنتاج وتطويره وجود فرصة للنشر والإذاعة.
وعرفتُ أن البيئة والواقع لهما تأثير كبير فيما تكتب وتنشد، إن كل قصيدة كتبتها خرجت من واقع بعينه، تكاد تعلن عن بيئتها التي خرجت منها.
فمثلاً في بيئة أثيوبيا وواقعها كتبتُ كثيراً من القصائد التي تعبر عن واقعها ذاك ولا تستطع الانفصال عنه ففي أثيوبيا كتبتُ قصيدتي:

اليوم الأخير في حياة بغي

ذات مساء أقبلت في أسى — يعلو محياها شحوب جميل
خضراوة العينين براقة — تحمل في الأعماق داء دخيل
تشكوى من الدهر وآفاته — قصتها والدهر شيء طويل
خاضت عبابا الوقت جدافة — والوقت لحسن جداً بخيل
تبحث عن عشٍ لتهدأ به — ما انجلى الدهر بهذا القليل

أعز ما تملك ضحت به — لمعشر من آكلين اللحوم
فبعثروا فيها ذئاب البشر — واعتصروا الخير وهدوا النجوم
وكم غزوها في ليالي الربيع — لكن ربيع البغى لا .. لا يدوم
وبعد نضب النبع في روضها — وبعد ان هبت عليها السموم
غادرها القوم ولم يرجعوا — فاجتاحها الحزن وشتى الهموم

ما أبشع الماضي؟ وما أظلمه — والمقبل الغامض ما أبهمه
الدهر في طياته حاملاً — لغز له معناه لا نفهمه
هل تشرق الشمس على واحة — مقفرة خالية مظلمه؟

فتنبت الأعشاب فوق الربى مثل اخضرار الحقل في موسمه
وتتحمل السحب لها هاطلاً من بعد كل الرعد والدمدمه؟
العيون الخضراء فيها دموع من بقايا الماضي ومن ذكرياته
حسراتٌ ولهفةٌ وأنينٌ وضمير يبكي على سابقاته
قد ندمتٌ وآحرتاه ولكن ندمي لا يفيد بعد فواته
آه هذي خطيئتي أيها الناس وقلبي افاق من غفواته
فأرشدوني إلى الطريق فإني قد كرهت الزمان في سابقاته

خرجتْ تزرع الشوارع ولهى ما جنت غير ذلةٍ وهوانا
وترتل بلوعةٍ كلماتٍ عاذرونا!! ليفروا بسوانا
جلت في كابةٍ ونعيم البردِ يبدى بوجهها ألوانا
شردت روحها الشقية تسعى في ذرى الله تطلب الغفرانا
لحظة بعدها تعالى صراخٌ كان قلبٌ هنا.. وكان .. وكانا

ديواني مرفأ السنين ١٩٥٩م

ألا ترون البيئة التي كتبتُ فيها القصيدة تطل بوجهها من خلال الكلمات وأن القصيدة لم تنفصل عن واقعها.. ويدرك ذلك من عاش هناك منكم. ومن المشاهدات اليومية في شوارع اديس بابا الشعبية وحياة المواطن العادي فيها عام ١٩٥٩م كتبت قصيدتي تساؤل:

تساؤل

رباه كاد فؤادي أن يذوب أسى
والقلب من شدة الأحزان قد يبسا
والدمع في العين يا رباه قد عبسا
حتى كأن فؤادي صفحة التعسا
والدمع كالحبر هذي قصة البؤسا

رباه قد أضحت الدنيا في نظري
كمثل زورق القته يدى القدر
في البحر ما زال يا رباه في خطر
وكل ممن فيه لا يدرون بالخبر
من أين؟ أو أين ! تلقيهم يدا القدر

دنياي قد ضعتُ فيها في مجامجها
لا أعرف الطرق فيها، او معالمها
أمشي على الدرب مشي التائه الولها
حيران لا أعرف الدنيا وما آلها
وكل لئن قال شيء قاله سفها

لم ادر ما سرها ما كنهها الأبدي
دنيا تكشر في شيخ بلا ولد
أرى الضحايا أرى صرعى بلا قود
أرى اموراً أرى شيئاً بلا عدد
أحسُ منه بوخزٍ حلَّ في كبدي

هذا فتى لا يطيق المشي من سغب
وذا اتيتُ غارقا في واحة الذهب
فيها القوي كثير المال ذو السلب
أما الفقير فلا شيء سوى الرهب
وفي حناياه بركان من اللهب

عدتُ اليك من الدنيا وزخرفها
قد ضاع في دربها من ليس يعرفها
و ظلّ من قال أحوال تشرفها
لآمال لا شيء في الدنيا ينورها

غير إبتسامة للمعاني تكررها

إن ابتسمت له تمحى لمحنته
جعلته سابحاً في عز فرحته
حركتَ في قلبُه قدراً يعتميه
فحس في نفسه حباً لعيشته
فواجه العيش في عزم بهمته

شاركته بعض ما قاساه من ألم
بعثت في قلبه سبيلاً من الهمم
فقال لا زال في الدنيا ذوو كرم
تفيض أنفسهم بالبشر بالشمم
شارك أخاك تعش في ارفق القمم

ديواني مرفأ السنين ١٩٥٩م

ومن القصائد التي تتحدث بلسان المجموع من خلال الحديث عن الأنا وتصور معاناة غريب عن الدار وهي قصيدة أثيرة عندي

رسالة إلى أمي

أماه! لا أنساك ما دمتُ على قيد الحياة
أماه يا قديسة الصوت ويا سرّ الحياه
أماه أسمك راكعاً في نشوة .. فوق الجباه
أماه إسمك في سماء الشرق يزهو بالظهور

ينساب صوتك في هدوء حامل النصح العطوف
أبداً صداه صوتك الذهبي في ذهني يطوف

أماه صوتك طيب الإيقاع كاللحن الهفوف
ونحسُّ في نبراته كل السعادة السرور

لم أدر يا أماه أي السر! فيكِ كامن
يهفوا إليك القلب في خوف وإذ هو آمن
يا مشعلاً للروح يهديه الطريق الآمنُ
أماه أنتظر اللقاء ليجبر القلب الكسير

أماه أشواقي اليك في مزيد
أماه أهديك السلام أنا بعيد
أماه يوم لقائك عندي يوم عيد
يومٌ أتوق اليه في شوق كبير

إني أراك في طلوع الفجر اذ يبدو جميل
وأراك في ضوء الهلال وفي الشروق وفي الأصيل
وأراك في هذا الربى وأراك في سعف النخيل
وأراك إن هب النسيم يداعب الشعر المثير

وأراك يا أماه في حسن الثياب
وأراك في المطر الجميل وفي الخمائل والسحاب
أماه! أنت النور يرشدني أنا وسط الضباب
أماه يا سر الوجود ومنبع الحب المنير

وأراك في الألحان في الإيقاع في الصوت الحنون
وأراك في الأشعار و الأبحاث في كل الفنون
أنت الحنان مجسم في الأرض ترنوا له العيون
أماه يا أملي وما اسلو به وقت الهجير

أماه إسم خالدٌ تشدو به كل الشفاه
فيك استوت كل الأنام يرتلون لك الصلاه
يا نعمة كبرى علينا حبها بعد الآله
أماه إسمٌ كله عطرٌ .. حروفٌ من عبير

أماه إسمٌ شامخٌ يعلو على مر السنين
إسمٌ على طول العصور زاه مرفوع الجبين
في القمة العلياء من كل النفوس فلا يلين
في هالة الأنوار مغموراً بها إسمٌ كبير

أماه أكتبُ من هنا والدمع في عيني غزير
أماه و الشوق الكبير يهزني فوق السرير

ديواني مرفأ السنين ١٩٥٩م

وهذه قصيدة أذكر كلما قرأتها الشباب وأيامه بأديس بابا وما كان يختلج في داخلي، وما كان يغلي في الحشايا من الإحساس والشعور والآلام والآمال يومها..

جلستُ على شاطئ الذكريات أداعب وحدي لقيثارتي
فتصدح حولي بلحن جريح جريحٍ يعربد في خلوتي
وما زال ينساب لحنٌ حزين من الوتر التائه الخافت
يرتل فيه شجون الحياة من البؤس واليأس والبلوة
فيزداد حيناً و يخفت حيناً إلى أن تلاشى وراء الظلمة
إلى أن تلاشى وراء الغيوب وراء الضباب وفي لوعتي
وقد كنت اصغى اليه بكلي وقد ضاع لحني فيا ويلتي

أنا لم أزل في ربيع شبابي ولكن شبابي كشيخوخةِ
شبابٌ جديبٌ كنبع نضوب فما فيه ماءٌ ولو غرفةَ
مائي سرابٌ فلا مأملٌ سوى أملٌ غاب في الظلمة
شبابي قفرٌ كمثل الصحاري فما فيه ظلٌ ولا واحة
شبابٌ ولكن شبابي كئيب شبابي خليٌ من الصبوة
شبابي ليل شديد الظلام فما فيه شيء سوى الفرحةِ
وما فيه نور يضيء الطريق ولا فيه شيءٌ سوى الكربةَ

وحيدٌ من الناس تجتاحني هموم وبؤسي فيا شقوتي
لقد خضت في قفرات الحياة وفي دربها تهت يا لهفتي
أيا زورق العيش حتى إلى ما تروعني داخل الموجة
ضبابُ الحياة ألا تنجلي حتى يشرق النور في مهجتي
حتى أنظر العيش صافي الإهاب خالياً من البؤس والشقوة
وأنعم بالعيش في راحةٍ وأخرجُ من هذه العزلة
و تصدح قيثارتي بأنفس نروده ممتع الرنة
أرى البعث بعث بني يعرب وسعى العروبة للوحدة
أرى في السعيدة بعثٌ جديد أرى الشعب قد هب في ثورة
أرى وطني العربي الكبير توحد في الحكم في الدولة
يضم الملايين من يعرب ونبذ العروبة للفرقة
ونبعث أمجادنا للذهاب و نسعى جميعاً إلى الغابة
وغايتنا هي نيل الحقوق ونيل السعادة و المتعة
إلى المجد هيا رفاقي سراعاً لنغدو على الأرض في الذروة
وحتماً سنرجع مجداً لنا سنبنيه بالسلم بالقوة
هناك سأبسم في موطني و أشدو بألحانها العذبة
ولحني يحمل معنى الجمال ومعنى الجلال مع النشوة
أغني لشعبي بنيل الخلود وقد حقق الحلم يا فرحتي
فشعبي مضى في انبعاث جديد يشق الطريق و في قوة
على شفتي ابتسام الرجاء يشير الى الخير في الأوبة

وبين ضلوعي فؤادٌ كبيرٌ يشق الصعاب إلى القمة
إلى المجد أسعى بكل اعتزام و أمضى حثيثاً الى الرفعة
سأسعى قوياً ولا أنثني سأسعى بعزمٍ إلى غايتي

أديس بابا ١٩٥٩م

حرصتُ على قراءة هذه القصائد لأطلعكم على جانب من شعري لم تسمعوه أو تتعرفوا عليه من قبل. ولتدركوا مدى تأثير البيئة والواقع. حيث في فترة عدن ١٩٦٤م ـ ١٩٦٦م كتبتُ شعراً مغايراً لِما كتبتُ بأديس بابا.. كتبتُ شعراً من واقع عدن وأحداثها .. ومن المعاناة اليومية بعدن في تلك الفترة جاء الشعر.
ففي العدد رقم ٧٦ من صحيفة الوطن العدنية الصادرة تاريخ ٥ ديسمبر ١٩٦٤ ، ٢شعبان ١٣٨٤هـ كتب الأستاذ الشاعر محمد سعيد جراده قصيدته: كم بعثم إلى الشعوب سفيرا

كم بعثتم الى الشعوب سفيراً ؟

يا بلادي وفيك أيُّ فسادٍ راسخ العُرف ضاربٌ في الجذورِ
فيكِ جهلٌ مقنّعٌ يتبدّى في ثياب التعليم والتنويرِ
فيكِ أهل الخيانة البلهِ يجترّون لفظ الجهاد والتحريرِ
ويغنون بالعروبةِ، والأوطان، والشعب، وانعتاق المصيرِ
فيكِ وأدٌ، لكلِّ موهبةٍ غرّا كالشمس في الصباح المنير
فيكِ خنقٌ للفكر والأدب الحي وسحل لساحات النور
رب قدمٍ أنفقت مالا عليه وهو أولى بالفقر والتبتير
رب غرٍ من حلية القبل خالٍ عاطل الذهب مظلم التفكير
جاهلٌ جاهل وأن لاح في هيئة الملامة الزمان الخطير

وغبي كل الغباء وان حرك راعى المقلدِ المغرور
يصدر الحكم في النوابغ لا يشعر بالمخزيات أي شعور
ويقيم الميزان كي يظهر الفارق بين جرول وجرير
أي شئ يقول هذا الذي يُضحك بالمنظر الغريب المثير
أخفش النحو و المفضل والقراء والأصمعي و الدينوري
والكسائي والمبدد والصالح و أوس و ثعلب والحريري
هذا لا الاعلام خربوا جميعاً بعد إعلان عجزهم والقصور
سلموا كلهم لأعظم نحوي أتى الناس في الزمان الأخير
لم يقم طول عمره وزن ببيت من نظم او حلة نم نثر

أيها القائمون فينا بار القلم ما بال خطنا في عثور
مالنا كلما نظرنا إلى الأفق صدمنا بظلمة الديجور
أو خطونا سرنا على بدغ انياب الأفاعي ووخز شوك العبور
أو حلمنا بطائف الخير رفق فوق أعناقنا طيور الشرور
جيلكم جاهل برغم الذي تبدون من نفخة ومن تكثير
جيلكم يجهل اللباب من العلم وجل اهتمامكم بالقشور
اسألوه عن البسائط في ادنى فبادى العلوم والتعبير
أين آثار نهضة العلم في القطر واين انطلاق صوت الضمير
أين ما ابدعت قرائحه في ظل طول الإعداد والتحفير
كم صنعتم من عالم يبهر الدنيا بآثار عقله المستنير
كم بعثتم إلى الشعوب سفيراً ننضوى في لوائه المنشور
عجباً تحشدون للدرس أطفالاً لاختبار في مثل عمر الزهور
بعظهم لا يميز أسماً من الفعل وال منصوباً من المجرور
لا ولا يفهم البدائة في اشياء أدنى لفهم عقل الصغير
وتقولون هؤلاء اساطين المعاني و أنجم المعمور
وهداة الأجيال للمثل العلا وحراس كنزها المهجور
والجديرون بالترقى لما ابدوا من الجاهد والكفاح المصير

طهروا ساحة المعارف يا قوم من الزيف والنفاق الكبير
طهروها من المحاسيب والبله وأهل التزوير والتغرير
يستر الصبح باليدين ويرنو نحو شمس الضحى بطوف عسير
يطعن الأكفاء في خبث محموم وفي حقد حاق مغرور
إن للعلم حرمة حقها أن يلتقي بالإكرام والتوقير
أن من يقتل الكفاءة كالقاتل نفساً لا فرق في التصوير
وانا بعد نبضت في قلب هذا الشعب الحليم الصبور
ربما صر نفسه قبل ان ينزل الى حرة فنال الصغير

وفي العدد (٧٨) ١٩ ديسمبر ١٩٦٤م / ١٥شعبان ١٣٨٤هـ نشرت صحيفة (الوطن) العدنية في نفس صفحة الأدب التي نشرتْ بها قصيدة الأستاذ جراده قصيدتي / انت في الشعرِ إذ تُحلقُ نسرٌ (مهداه للشاعر الكبير/ محمد سعيد جرادة) ومنها:

إيه يا شاعر الأناقةِ في اللفظِ رقيقِ الأسلوب في التعبيرِ
تتركُ الحرف روعةً يتهادى نابضاً بالحياة عبر الأثيرِ
لقبوكَ (جرادةٌ) لا لشيءٍ، غير تحليقَ في سماء الشعور
انت في الشعر إذ تحلقَ نسرٌ ذا إعتدادٍ وقوةٍ في النسورِ
إنه الشاعر المجيد زاه في اندفاعٍ لكل أمر خطير
حادياً شعبه الى كل خير يزرع العزم في جميع الصدور
يتخطى بشعبه كل شر يفتدي الشعب من جميع الشرور
ويهيب بطالب وبالإستاذ بشيخ بعامل بصغير
يلهب الحزنُ صدره أن يرى الشعب صريع الأوهام والتخدير
ينفق المال في الملذات دوماً ويغني لأحمق مغرور
وعلي هذا! أبوه فلان آية في الذكاء لا التقصير
ويرى البله في المناصب تختال على مقعد أنيق وثير
والكفاءات لا يقام لها وزن ولا بلغة من التقدير

وتحز في نفس شاعرنا اكبر امور ويالها من أمور

إنه الشاعر الذي يترآى غدنا في خياله المستنير
ينذر الشعب من مهازل أن واحت تروى في هذه الديجور
رافعاً صوته بحق ينادي لا يبالي بجهد حصور
لا يبالي بالية مهما ثاروا لا يبالي بالكذب او التزوير

أخلصوا للبلاد بالعلم حقاً شباب بحكمة التدبير
وانفقوا المال في سبيل رقي وابعثوا النور في ظلام القصور
وانصفوا كل جال ذي نبوغ لا تقولوا من بيت شخص فقير
يترك الشعر في النفوس سياطاً من حماسٍ ونشوةً في الضمير
هكذا الشعر يبعث العزم والإقدام للمجد بعد طول الفتور
هكذا الشعر اذ يهيب بقوم ويدوي كنافخ في الصور
يترك البغي والفساد حطاماً وينادي للعلم للتنوير
يجعل العيش مشرقاً في نفوس لفحتها لواعج من سعير
إيه يا شاعر يغني لشعبه وينادي في الشعب للتطوير
أرسل الشعر في الربوع ضياءً أزرع الدرب كله بالزهور
واعد في النفوس بعض حماس كان في الأصل من قديم العصور
جدد الشعر لا عدمناك صوتاً داعياً قدمه الى التطهير

ديواني وجه الغفاري

في تلك الفترة بعدن تعرفت على الأستاذ الأديب الذواقه الأخ/أحمد عبدالله باحكيم وكان أستاذاً في إحدى مدارس عدن وجمعني وإياه كما قال أبو تمام أدبٌ أقمناه مقام الوالد.
وبعد أن قرأ شعري وسمعه تحمس له وأخذ بعض القصائد وعرضها على الأخ معد ومقدم البرنامج الأذاعي وقتها في رحاب الشعر : من إذاعة عن الأخ فيصل عبدالكريم الذي وافق على إذاعة بعض قصائدي

من برنامجه وفعلاً حضرت الى مبنى الإذاعة القديم ما ينو هي على ما أذكر ذات مساء بمعية الأخ/ احمد عبدالله باحكيم وسجلت بعض قصائدي و منها قصيدتي:

واحة في هجيري

حبيبتي أيُّ حرفِ يطيقُ حملَ شعوري؟
اليك يا كلُ حبي! يا فرحتي! وسروري!
اليك يا كل زادي! يا نبعُ حبٍ طهور
اليك يا روحَ روحي، يا حاضري ومصيري
الشوقُ زادَ لهيباً، لمعزف ، لعبيري
للضوء من ناظريك، للغفو بين العطور

أهواك يا كلَ حبي ، يا واحة في هجيري
يا لحن حبٍ سعيدٍ ، يا لحن حبٍ كبير
يا لحن حبٍ أنيقٍ ، يا لحن حبٍ مثير

أهواك من كلِ قلبي، يا سكرتي ، وزهوري
باسمةً في حيائه يا ضمة في ضميري
يا نشوةً في كياني، يا جنة في سعيري
يا رمز حبٍ عظيمٍ، حب عميق الجذور
يا معبدي، ونشيدي، ومتعتي، وخموري
تسمو في صباها ، تضيق عنها سطوري

وفي أثناء وجودي بالاستديو للتسجيل حضرا إلى مبنى الإذاعة الأستاذ محمد سعيد جرادة، والأستاذ عبدالله فاضل فارع وفور خروجي من الأستديو تلقاني الأستاذ جرادة مرحباً وقال لي في استغراب: هو انت؟ قلت: نعم. قال: كنت أبحث عنك منذ قرأت قصيدتك في الوطن ولم أجد من يدلني عليك وهاأنا ألقاك!! ثم قدمني إلى الأستاذ عبدالله فاضل فارع وقدما لي الدعوة للحضور إلى جلساتهم الأدبية التي تعقد في الشيخ عثمان. ولكن الظروف لم تسمح لي بالحضور حيث مقر عملي هو بكريتر وقل ما يوجد فراغاً في العمل.
من القصائد التي قدّمت في برنامج في رحاب الشعر قصيدتي: العرب والعام الهجري الجديد نشرت في العدد رقم (٨٨) من صحيفة (الرأي العام) العدنية بتاريخ ٦ محرم ١٣٨٥هـ / ٧ مايو ١٩٦٥م.

عام أطل وامجاد تطالعني وهجرة الحق والبشرى تجذبني
يا عامنا حطم الأصنام قاطبة واقضي على كل لصٍ خائن كذبِ
عام أطل و قومي في انطلاقتهم مزمجرون على الطغيان كاللهب
عام أطل وشعب العرب مندفعاً في زحفه ثائراً في موكب الجد
أخوة في بقاع الأرض تجمعنا في الدين في الدم في الأهداف في النسب
ما قال في المغرب الأقصى قائلنا يا للسلام ويا للإخوة النجب
أرى تعالي صراخ في مرابعنا في حضرموت وفي بغداد في حلب
نحن مآثرنا في الغرب ماثلة عبرا لقرون فلم تفنى ولم تغب
رمز الى امة في المجد سابغة في العلم والبحث كل الفضل للعربِ
نحن بناة حضارات وفلسفةٍ أبان كانت في بلاد الغرب سغب

و خارج يحسب ان العرب غافلة جاء يثرثر في زور وفي كذب
جاء بأفكاره الحمقى مهلهلة مغمياً بأماني العرب في أرب
قد مات يوم أثار العرب قاطبة قد مات يوم اباح القدس في الخطب

ويوم صافح صهيون وتابعها في كل منحدر قفر ومنسرب
أتحسب العرب يا .. يا أنت تاركة حثالة الخزي أو جرثومة العطب
هذي فسطين أرضي سوف ارجعها جدي بها كان من قدم وكان أبي
ونحن نارٌ على الأعداء حارقة وما اليهود سوى قش قشٍ للحطب
والمرجفون بأرضي لا مكان لهم لا للنفاق او التضليل و اللعب
نعيد وحدتنا في قوة برزت يعيد ماضينا في أروع الحقب
عادت حضارتنا في الأفق شارقة عادت معبرة عن قوة العرب
وعدت يا عام في سلم وفي دعة وبالرجوع الى نبع لمقترب

ديواني عودة نيسان

وفي عدن ومن واقعها وما تمور به من أحداث وتفاعلات عام ١٩٦٥م كتبتُ قصيدتي أغنية الأمل وقد نشرت بالعدد رقم ١٠ الصادر بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٦٥م، ١١ ربيع ألاول ١٣٨٥هـ من صحيفة الأمل التي يصدرها الأستاذ/عبدالله باذيب.

أغنية للأمل

يا أمل الجموع يا أمل الجموع
يا بلسم الدموع في انتظار
أطل على الشعاع لمطلع النهار
فإننا هنا لشعلة ساطعة في الموكب الكبير
يا فرحة الجياع في زحفنا الخطير
نعيش في بلاهة تشرق في ربوعنا
ننتظر الضياع في أفقنا الكئيب

نحيا على السباب والتمزق ويخصب الجديب وتنهض الجياع
الرهيب ثائرة
نحلم بالكنوز بالنجاح تمزق الضياع
بعودة الغريب تسخر بالتيه وبالضياع
يا زارع القوة والإيمان في داست على القيود
القلوب في اندفاع
اشرق الجنوب ماضية في زحفها
يا باعث الشعوب قدماً .. فلا رجوع
نور لنا الدروب أشرق على ربوعنا
نحن هنا يا أمل الجموع

ديواني وجه الغفاري

قد يلاحظ بعضكم كتابة هذه القصيدة بالشعر المرسل وقبلها قصيدتي هو وكلماتي، ويتسآل مني وكيف بدأت الكتابة للشعر بهذه الطريقة.. فأبادر و أقول إن لهذا حديث طويل آمل ان اجد من الوقت ما يمكنني من الإلمام به مستقبلا.
من الشخصيات الأدبية اليت عرفتها بعدن فيت لك الفترة وأفادتني كثيرا بما لها من تجربة في عالم الشعر والأدب الاشعر الكبير علي محمد علي لقمان شاعر ديوان الوتر المغمور وهو أول ديوان شعر يطبع بعدن عام ١٩٤٤م وديوان على رحال صيره وديوان هدير القافلة وغيرها من الدواوين الشعرية والمسرحيات، وكان اللقاء به ممتعاً وقصياً إن صوته الهادي العميق لا يزال عاتب بذاكرتي وكأنني اسمعه وهو يقول: إن حضرموت تمدنا بالكثير ولقد اعدتني الى ذكريات عزيزه غاليه إلى أيام وجود الصديق الشاعر الأستاذ علي احمد باكثير بعدن

قبل ذهابه مصر، إنها أيام جميله قال ذلك وحدق امامه كأنما ينظر في البحر وشملتنا هنيهة من الصمت، ووجدتها فرصة أن اسأله عن والده الأستاذ المصلح الكبير محمد علي إبراهيم لقمان المحامي الذي أشاد بكتاباته ومقالاته امير البيان الأمير شكيب أرسلان وأذكر أنني عندما أشرت الى إشارتي امير البيان بوالده مؤلف بماذا تقدم الغربيون؟ تهلل وجهه وابتسم ثم قال لي انني احس هذه الروحي فيك وكثرة القراءة والمطالعة إنني سعيد بقراءتك عن ابي وأخذ يتحدث عن ابيه ودوره في تأسيس نادي الأدب العربي بعدن ونوادي أخرى كذلك، كما عرفت منه أن والده في الفترة التي كان فيها علي باكثير بعدن ذهب إلى الصومال وكان يقيم هناك وأن علي باكثير ذهب الى الصومال. ذكري لي ان والده كان يحتضن الكثير من المواهب الأدبية بعد ويدافع عنها ويدفع بها الى الأمام ثم قال لي: إنني سعيدٌ بمعرفتك وأرجوكَ تكرر زيارتك إلينا. واتمنى لك مستقبلا زاهراً.

و ترددت عليه مراراً بمكتبه بدار فتاة الجزيرة بكريتر اثناء اقامتي بعدن وظل ما سمعته منه من حديث عن الشعر وكتاباته وكيفيه اختيار الألفاظ والتشبيهات وكيفية إستعمالها محفوراً في ذاكرتي وقد يود بعضكم معرفة ما كتبه امير البيان الامير شكيب ارسلان عن الأستاذ لقمان الاب واشرت اليه، لهذا أورد لكم نصاً لبعض ما كتبه امير البيان الأمير شكيب ارسلان وكان يقيم بجنيف سويسرا.

جاء في مقال للأمير شكيب نشرته جريدة الشورى في العدد ٣١٢ بتاريخ ١١ فبراير ١٩٣١م: (ما ألذ مقالات الأديب اليماني محمد علي لقمان إن فيها طلاوة وأفكار عصرية ومعلومات تاريخية وملاحظات إجتماعية ودقائق إقتصادية وأراء سياسية ومنازع قومية ومبادئ وطنية وكل هذا بعبارة سهلة مع الإقتناع، دانية الإرتفاع، تدخل الأذان بلا إستئذان وتوحي الى القلب نفس أبية، ونصرة عربية وقريحة

فياضة وهمة نهاضة، يقول لها الإنسان حقا إن الأسماء تنزل من السماء وإن بين لقمان والحكمة صلة قرابة).
و في عام ١٩٦٩م كتبتُ قصيدة رثاء لوفاة الأستاذ علي احمد باكثير الذي كان بيننا في سيئون منذ ما يزيد عن العام قليلاً بعد غربة أمتدت قرابة (٣٨) عاماً ولقد عشنا اياماً سعيدة خالدة معه واخذنا منه الكثير عشنا مع هذه العبقرية بعد أن قراءنا وسمعنا عنها كثيراً، لقد كنت اتردد عليه أثناء اقامته القصيدة ببيت أخيه عمر بن أحمد باكثير.
وشاركت بقصيدة الرثاء هذه في الحفل التأبيني الكبير الذي أقيم بجامع طه بمدينة سيئون وممن شارك في الحفل من الأدباء والشعراء الأستاذ العلامة علوي بن عبيدالله بن حسين السقاف والأستاذ المؤرخ محمد احمد الشاطري والأستاذ حسن عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف والاستاذ عبدالله بن طه الهدار صاحب نسج البردة التي قرضها الأستاذ علي احمد باكثير طبعتها الثانية في القاهرة ععام ١٩٦٥م بقصيدته ذات المطلع الشهير:

يا بردة حاكها الهدار بالقلم وزانها بمزايا سيد الأمم

والأستاذ عبدالرحمن بن احمد باكثير والأستاذ الأخ احمد عدبالقادر باكثير والاستاذ عبدالقادر محمد الصبان والأستاذ محمد بن سالم الحامد واستاذنا الجليل عمر بن محمد باكثير وغيرهم رحم الله من مضى وامد في عمر من بقي.
وكان الأخ الأستاذ جعفر محمد السقاف مقدم الحفل.
وفي رسالة تعزية بعثتها الى الأستاذ علي محمد لقمان في صديق الأصل علي احمد باكثير ارفقت نسخة من قصيدتي هذه على احمد باكثير:

بفؤاد دّامٍ أتيتُ إليكم في انقباض ولهفة يا رفاقي

جئتكم والفؤاد ينزف حزناً ويعاني من لوعة واحتراق
جئت والذكريات تعصر قلبي فوفاء الصديق من أخلاقي
نبأٌ يا لهوله اذا غزا سمعي مهيباً في الوقع كالأصعاق
مات من أرسل الروائع حيناً ومنارُ هوى بعيد اللحاق
هكذا العيش جيئة وذهاب وحياة تمر سير براق
لن ترى في الحياة غير ذبول قمر سائر لنحو المحاق
كل حي على البسيطة يوماً يترك العيش موغلاً في الفراق

إيه يا شادياً بمجد بلادي يا مناراً يشع بالإشراق
مرسل الشعر صادقاً وعميقاً راسماً للآمال للأشواق
كاتب النثر ممتعاً وأنيقاً يا لنثر في الوقع حلو المذاق
أتركت النضال بالقلم الحر؟ فَمَنْ للكتاب.. للأوراق
وا إسلاماه! من له يكتب اليوم بصدق وهمة وانطلاق
يستثير النفوس في كل حين ببيان منمق دفّاق

يا عظيم الحياة عشت أبياً لم لتن للصعوبات .. للإخفاق
في شموخ مضيتَ ترسم دربا رائعاً في جلالة البرّاق
أنت طوّقتنا بكل جميل قد تركت الكثير في الأعناق
أنت غادرتنا ففي القلب حزن واكتئاب والدمع في الآفاق
أنت غادرتنا ففي كل قلب لكن رسمٌ يعيش في الأعماق
رُزِأَتْ مصر والجنوب جميعاً بعظيم إلى العلو سبّاق
أمة الضاد ودّعته بحزن في شآم، ومغرب، وعراق
عربي التفكير في كل قول داعياً قومه لأسمى انعتاق
إن موت العظيم يترك في الأرض فراغاً في النفس في الآفاق

يا نجي الخلود حيّاك ربي في روابي الخلود بالإغداق
إن تمت والأقصى يئن صريعاً مثقلاً بالجراح بالأحراق
فيميناً نقول دون رجوع قسماً بالأقداس بالأخلاق

أن نعيد الأقصى يعود إلينا بالضحايا وبالدم المهراق
بالفداء الرهيب لله نمضي في ثبات القوي كالعشاق
في انفتاح على نضال شعوب كافحت للبقاء رغم الوثاق
والفدائي ماضياً في صمود سيبيد اليهود بالإرهاق
أمة الذل أَيقْني بفناء لن يقيك من قبضتي أي واق

من رباط الفتوح قد طلع النصر مبينا مجسماً في تلاق
فَشلٌ، لا .. فإننا قد عرفنا كل وجه مقنّع بالنفاق
نصف حَل، من قال إنا رضينا بحلول هزيلة، أو وفاق
إننا العرب لن تلين لقسر أمة مجدها مدى الدهر باقي
قد صمدنا للعاصفات عصوراً ومضينا بركبنا في انطلاق
سنذيق اليهود في القدس يوماً وخبالاً، يحيون في ازهاق
يا لأمجاد أمتي قد أطلّت في تسامٍ وعزة وتلاق
ايه يا ثاوياً بأرض البطولات بمصر، بموطن الإشراق
منذ حين أتيتنا فوجدنا فيك للنفس أنجع الترياق
وسموت بنا إلا الأفق العلوي من نشوة بيوم التلاق
ورأينا النبوغ يمشي عياناً ورأيناه " رب المعاني الدقاق"
هاهنا صوتك العميق يدّوي .. ويدوّي لا زال في الأعماق
شهد المسجد الكبير جموع الشعب، تصغي اليك في اطراق
وتركت الكثير في كل نفس يا كريم الآباء.. والأعراق
وهنا الآن كل قلب كئيب وعيون بدمعها الرقراق
(لصفي وليليان) حديث صفته عبرة لنا في اتساق
وابن لقمان داره أنت راسمها مناراً يشدنا في اشتياق

أيها العبقري مُتّ عظيماً يا لموت العظيم و العملاق
مُتّ . لا لم تمت وهل مات شخص بجليل الأعمال في الناس باقي

ديواني طلع النهار ديسمبر ١٩٦٩

وذات صباح اذا بالبريد يحمل إليَّ رسالة انيقه من الأستاذ علي محمد لقمان بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٧٠ م ذاكراً أيامنا الأولى شاكراً لي .. مهدياً لي نسخة من ديوانها لأخير هدير القافلة. وقد أثارتن الرسلة والديوان فكتبت له قصيدتي /

غنّ للقدس

من هنا أبعثها صادقة لعليٍ ، لكريم الشيم
للذي يرسل شعراً رائعاً لم تخفه نزوات القُزُمِ
"وترٌ مغمور" لا بل وترٌ رائع اللحن شجي النغم
يرسل الشعر لهيباً مشرقاً يا لمنور هازئاً بالظلم
وهدير صادق مندفعاً يدفع النفس بأقوى الهمم
يا أديب الجيل يا أوحده قمة عالية في القم
راسم الآمال في موطننا دُرراً تنساب من كل فم
سر بها قافلة خالدة سِرْ بركب الأدب الملتزم
غنّ للقدس، ففي القدس لظىً يبعث الفخر بقلب هرم
رتل الشعر نشيداً علناً علّنا ننسى شديد الألم
ألمْ ننساه؟ لا .. لا أبداً كيف ننسى؟ ثأرنا لم ينم
الفدائي بها منتصباً في شموخ عالياً كالهرم
دَعْ جراحي نازفات فأنا واهباً كل حياتي ودمي
لفلسطين وما أكرمها لفلسطين لأرض الحرم
البطولات وما أروعها ذكّرتنا نخوة المعتصم
يا لصهيون أراها ومضة تتلاشى كبقايا حُلُمِ
أتراها حسبت في موطني موطناً للنذل .. للمقتحم
خسئت صهيون ما لاقت سوى عارضاً ممطرها بالحِمَمِ
يا عليُّ، هاكها ترنيمة من فؤادٍ صادق مضطرم

ديواني طلع النهار ١٩٧٠م

قد تلاحظون أنني مزجت ما أسميته بالتجربة وذكريات عن شخصيات عرفتها ومواقف عشتها وأقول لكم إن الذكريات وما تحمل في طياتها من التعرف على تجارب الآخرين والاستفادة من خبراتهم لا يخرج عن التجربة بل أراه في صميمها أنها لقاءات غير عادية إن لقاء الأديب والشاعر والعالم يُعتدُ في نظري لقاء غير عادي في حياة الفرد ويجيب تسجيله والإحتفال به، انا ما اخذته من لقاء الشخصيات الأدبية التي عرفتها لا يقل أهمية عما افدته من القراءة والمطالعة إن لم يكن أعمق اثراً منها ، ولا تخلو الحياة من محطات هزى ومرح بين الاصدقاء لحظات تتحرر فيها النفس من متاعب الحياة و تبعاتها محلقة في جوي جناحك متناسية ولو للحظة آلامها وهمومها وينطلق الشعر ضاحكاً مداعباً بعيداً عن الرصانة والجد، ويا لجدب الحياة و رتابتها يوم تخلو من هذه المحطات وتقفز من هذه اللحظات و اقتصر هنا على وقفة قصيرة في واحة من محطاتنا الهزلية المرحة وما اكثرها ، ففي عام ١٩٦٥م وفي احدى الجلسات قراء الاستاذ الشاعر الأديب محمد عوض باوزير قصيدة هزلية نظما في صوت شاة بعنوان نهاية شاه:

سلّمت روحها الى باريها خضراءٌ لأهلها وذويها
غفر الله ذنبها كيف ماتت هذه قصة أنا أرويها
كان للشاة مسكناً ثم ظلت ذلك المسكن الذي يأويها
فمشت تبتغي الطريق إليه واستمرت وليس من يهديها
وعلى الشارع الكبير تراخت من عناء يكاد ان يرديها
دهمتها سيارة وهي تطوي الأرض طيا فأوشكت تطويها
و على جانب الطريق رآها قادم أسرع المسير اليها
حملوها على سرير وجاؤا يسألون الأصحاب عن أهليها
دلهم بعضهم عن صاحب الشاة وعن بيتها وعن نبتيها
اضجعوها على الفراش فما استطاعت جلوساً حتى على جليها
زارها الأصدقاء من كل بيت سائلين الرحمن ان يشفيها

قدموا نصحهم لها وهي لا تدري وأنى للشاة ان تدريها
ذاك يرجو لها دواء حديثاً ثم هذا يريد ان يكويها
وارادوا ان يذهبوا لطبيب علّ ذاك الطبيب ان ينجيها
غير أن الحياة كانت عذاباً هي اقصى من راحة الموت فيها
ذهبوا رحمة بها وأتوها بدواء من الردى يبريها
ذبحوها فاستسلمت واستكانت في هدؤ الى الذي يفنيها
وإذا شعلة الحياة تداعت فجدير بالموت ان يطفيها

ولم أكن موجوداً غير ان أحد الأصدقاء جاء لي بالقصيدة فكتبت قصيدة لأستاذنا باوزير معزياً ومواسياً في موت الشاه وكانت من الجلسات الممتعة.

إلى صاحب نهاية الشاة

شاة مخلدة في قلب مالكها ذكرى معطرة في قلب ناعيها
رسم منمق لن تخبوا معالمه شبح من النور في انظار راويها
هذا الوفاء لها شاة مباركة لقد كرعتم مراراً من مراويها
درت عليكم بألبان وما برحت بناتها راقصات في مراعيها

وكم ذبحتم مراراً من سلالتها فذاك يمرح او في النار شاويها
وكم تبيتون في الضواء راقصة واللحم والشحم فوق النار يذكيها
لو لم يكن غير تعريفي بشاعركم لكان هذا من الإفضال كافيها
فكيف لا وهي قد كانت مدرسة في الاقتصاد فلا تأكل ملئ فيها
كانت تقلل في المصروف جاهدة والماء لا تبتغي تكليف شاريها
غزيرة الدر و الإنتاج مكثرة مثنى ثلاث وأحاد تواليها
ما أن ترى وضعت إلا وقد حملت بسرة هاكذا دوماً دواليها

وقال لي صاحب انسى قضيتها قضية الشاة لا لا لست ناسيها
أهكذا بني الإنسان في قلق والأرض في الحذف قاصيها ودانيها
تمضين يا شاة للدنيا مطلِقة ففي القلوب لموت الشاة ما فيها
إن غبت عنا خفى الأعماق ماثلة مرحى لروحك اذ عادت لباريها

عدن ١٩٦٥م

آثرت الكتابة بالطريقة التي تناسبني والشعر بارتياح معها ، كتبتُ بأسلوبي وتعبيري ،، مم أقتف طريقه التحليل والغموض، والغوص في بحار الفلسفة والنظريات، وانما اتيتُ بكلمات بسيطة تربط بين قصائدي وتشير الى المراحل التي قطعتها وبشيء من الإيجاز والتركيز مجانباً الغموض والإبهام تاركاً نفسي على سجيتها.

وهكذا أنا جئتُ بما احسسته وعانيته ورسمت لكم مواقفاً مرت عليَّ رسمتها كما هي، وكما عشتها تاركاً لكم وللقراء التقييم والتحليل وتحضر لي هنا كلمة قرأتها قديماً للفيلسوف اليوناني سقراط عندما اجتمع بالشعراء قال: لقد سألت كلا منهم عما عناه بشعره فلم يكن فيهم من استطاع الإجابة على سؤالي هذا.. ولقد جمعني وإياهم محب ضم كثيراً من المعجبين بهم وبأشعارهم فلم يكن بين الحضور رجل الا وهو اقدر على التحدث عن تلك الأشعار من الشعراء انفسهم.

بعد ذلك أتراكم تطلبون مني تفسيراً لما كتبتُ أو تعليلاً لما قلتُ .. لا أظن!

وشكراً

سالم زين باحميد
مدودة سيئون
سبتمبر ١٩٨٩م